كي لا يضيع أولادكم

حضرة مرزا طاهر أحمد رحمه الله تعالى

الخليفة الرابع للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: محمد منير إدلبي

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة

هذا الكتيب خطبة جمعة لحضرة ميرزا طاهر أحمد الخليفة الرابع للمسيح الموعود عليه السلام، وقد ألقيت في أحد مراكز الجماعة في لوس انجلوس في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٣/١٠/ ١٩٨٧، ولقد رد حضرته في هذه الخطبة العظيمة على سؤال كان يوجّه إليه كثيرا أثناء تجواله في تلك البلاد وهو : كيف يستطيع المسلمون أن يحافظوا على تربية أبنائهم وصونهم من خطر الفساد السائد والمحيط في تلك البلاد .

وإجابة على هذا السؤال الهام بيّن حضرته الأسباب الخفية التي من شأنها أن تؤدي إلى ضياع أبناء المسلمين كما كشف أسرار الإهمال لدى الوالدين في تربية أبنائهم وتنشئتهم على الخير والصلاح وحب الله ورسول الله ﷺ. وبيّن أن التربية المادية والتطلعات المادية لدى الوالدين هي السبب المباشر في ضياع أبنائهم، وأكد حضرته على ضرورة استبدال هذا الأسلوب الخاطئ في التربية بالأسلوب الإسلامي الصحيح الذي من شأنه أن ينشئ الأولاد على التقوى التي تجعلهم يخافون من أن يخسروا حب الله ورضوانه فيسعون دائما إلى العمل على كل ما يرضي الله تعالى ويبعد عن سخطه وبذلك يفوزون بحماية الله وهديه المتواصل فلا يصل إليهم الشيطان في أي مكان

ولا يكون عليهم سلطان بل يخافهم ويهرب منهم ويترك لهم العالم ينشرون فيه الخير والسلام وهدي محمد المصطفى ﷺ.

إن ترجمة كلام حضرة أمير المؤمنين مسؤولية عظيمة لا يستطيع تحملها ولا الادعاء بالقدرة على أدائها بحقها أي شخص كان ولكن بما أنه لابد من نشر تعاليم حضرته وإرشاداته كان لابد من تحمل مسؤولية هذا العمل راجيا العون من الله على التوفيق وطالبا الدعاء من إخوتنا .هذا وإنني أتحمل مسؤولية أي خطأ في الترجمة يكون قد صدر عفوا .

هذه الترجمة جاءت عن الترجمة الانكليزية لخطبة الخليفة باللغة الأوردية. أرجو الله القبول.

والحمد لله رب العالمين

محمد منير إدلبي الأحمدي

دمشق في ١٩٨٨/٦/٩

كي لا يضيع أولادكم

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

خلال رحلتي الحالية التي بدأت في كندا ثم جئت بعدها إلى أمريكا، وقد بلغت الآن منتصفها، في كل مكان ذهبت إليه كان أفراد الجماعة يوجّهون إلي بصورة عامة سؤالا واحدا وبشكل متكرر:

وهو أن المجتمع في البلد أو البلاد التي نقيم فيها قد صار غاية في الفساد، وأن البيئة المحيطة قد أضحت سامة إلى حد أننا بدأنا نشعر بالقلق حول مستقبل أولادنا لذلك فإننا نرجو منك أن ترشدنا إلى طريقة نستطيع من خلال اتباعها أن نطمئن على أولادنا بحيث يستطيعون المحافظة على القيم الإسلامية، وأن يكبروا كمسلمين صالحين، وأن لا يغلبوا متأثرين بغير المسلمين بأي شكل كان.

ولقد أجبت على هذا السؤال في كندا في جلسة الأسئلة والأجوبة وفيما بعد وأثناء مقابلتي مع الأطفال في واشنطن تناولت مواضيع معينة من هذا

البحث. وبما أن هذا السؤال يوجّه إلي بصورة عامة وقد أصبح يشكل مصدر قلق في فكر الغالبية فإنه يكون من المناسب تهيئة شريط مسجل فيه الإجابة على الأسئلة المتعلقة بالموضوع المذكور. وزيادة على ذلك وبما أنني سأتناول جوانب أخرى من نفس الموضوع، فإنه يجب إضافتها إلى ذلك التسجيل أيضا، ثم بعد ذلك يجب أن ترسل هذه الأشرطة إلى كافة أنحاء أمريكا مع الانتباه إلى أنه يجب التأكيد على أن تصل هذه الأشرطة إلى جميع المسلمين الأحمديين بحيث لايهمل منهم أحد؛ بفضل الله تعالى قد تمكنّا خلال السنوات الثلاث الأخيرة من إنجاح مشروع الأشرطة المسجلة بشكل جيد، ومع ذلك فإنني عندما أتفحص هذا المشروع بالتفصيل أجد أنه لا يزال هنالك بعض النقص ولذلك لا يكون صحيحا القول أنه في بلد ما تستلم كل جماعة فيه الأشرطة المسجلة بانتظام، وأن كل فرد من تلك الجماعة يستطيع الحصول عليها.وهكذا فإن هذا النظام لا يزال غير تام فيما يتعلق بكيفية إفادة جميع أفراد الجماعة منه.وإذا لم يكن هنالك ترتيب يضمن أن يستمع جميع أفراد الجماعة في العالم إلى الخطب أو الرسائل الخاصة فهذا يعني أن الكثير من العائلات التي لا تستطيع الحصول بنفسها على نسخ من هذه الأشرطة تُترك دون التمكن من الاستفادة من هذا النظام. وبصرف النظر عن ذلك فإنه حتى إذا تم اتخاذ الترتيبات للاستماع إلى الأشرطة أثناء خطب الجمعة، فإنكم تعيشون في بلاد حيث لا يستطيع عدد كبير من

الناس حضور صلاة الجمعة. وعلاوة على ذلك فإن الرجال والنساء الذين يأتون لصلاة الجمعة ليس بالضرورة أن يكون أولادهم أيضا معهم، ولذلك فإن مخاطر وجود نقص تكون أكبر حيث تقل إمكانية وصول الرسالة إلى كل فرد من أفراد جماعتنا.ولذلك فإنه بسعي وعناية كبيرين يجب أن تخطي خطوات حثيثة للعمل على التأكد من أن الأشرطة التي تتناول المواضيع الهامة والتي تتعلق بتدريب الجماعة أو مستقبل الأطفال تصل إلى جميع أفراد الجماعة، ومن الضروري في الأماكن التي يكون فيها ترتيبات للاستماع إلى الأشرطة بشكل جماعي أن تُدرس وتُراجع بعض الإحصاءات بحيث يُعرف كم من الأصدقاء أمكنهم المجيء مع أولئك الذين استطاعوا الحضور.

ويجب مناقشة الترتيبات بحيث يمكن لأطفالهم أيضا أن يستمعوا إلى تلك الأشرطة. وأما بالنسبة إلى أولئك الذين لم يستطيعوا الحضور يجب العمل على اتخاذ الإجراءات التي يمكن بواسطتها إيصال الأشرطة إليهم. وإذا استطاعت الجماعة القيام بهذه الإجراءات بصورة عامة فإنه بالإضافة إلى تأمين هذه الخطب والاهتمام الشديد بتطوير نظم فعالة تسهل هذه الأشرطة إلى الجميع، فإن هذا من شأنه أن يفيد الجماعة في جميع أنحاء العالم بأشكال كثيرة.

كي لا يضيع أولادكم

إن خطب الجمعة هي وسيلة إيجاد الوحدة والتشابه وحقيقة موقف الجماعة وغرضها في كافة أنحاء العالم بغض النظر عن البلد التي ينتمي إليها أفراد الجماعة. إن واحدا من أعظم أهداف تأسيس الجماعة الإسلامية الاحمدية هو جعل الإسلام عالميا وخلق حساسية إسلامية متجانسة في العالم أجمع، وكذلك إظهار الإسلام على الدين كله. كما وأن خلق موقف موحد وارتباط قوي وثيق الصلة بالخلافة من قبل كل الجماعات في العالم هو العامل الأهم، وهذا ما لا يتوفر في أي مجتمع ديني آخر في العالم

في كل أسبوع تنقل خطبة إلى جميع أنحاء العالم وهي تلقى من قبل شخص واحد له صلة روحية عميقة بالمستمعين إليه وهم قد آتوا عهدا بالاستماع والعمل على تنفيذ جميع إرشاداته. وهذه أيضا من الميزات التي لا تتوفر في أية جماعة دينية أخرى. وبناء على ذلك فإنه إذا كانت وحدة العالم مرهونة بأية جماعة، فإن هذه الجماعة هي فقط الجماعة الأحمدية.وإذا لم تستفد الجماعة الأحمدية من النظام الذي أنعم الله تعالى به عليها، والترتيبات التي أتمها لإفرادها، فهذا يعني، وبغض النظر عن فكرة توحيد العالم، أن الجماعة لن تستطيع الحفاظ حتى على وحدتها هي.

كي لا يضيع أولادكم

لقد شعرت أنه في مناسبات كثيرة، وبسبب الافتقار إلى اتخاذ الترتيبات اللازمة من أجل نقل الخطب،أن حال مثل تلك الجماعات بدأ يتطور آخذا منحى مختلفا عن روح الجماعة.

في مثل تلك الأماكن، بدأت تظهر وتتأصل أشكال مختلفة من الأفكار والشكوك التي لا أساس لها دون أن يتم تصحيحها في نفس الوقت. ولذلك فإن الجماعات هناك تستمر نحو اتخاذ أحوال مختلفة عن بقية الجماعة.

وبصورة عامة فإنه من المهم جدا وبالأخص في أماكن مثل لوس انجلوس حيث الجماعة تنتشر على مدى واسع، وتكون المسافات بين بيوت الأحمديين كبيرة والمدينة واسعة جدا وهناك الكثير من التأثيرات السيئة، ففي مثل هذه الحالة حتى لو تم بناء مسجد، فإنه عمليا لن يكون من الممكن للجميع الوصول إليه بسهولة، ولذلك فإنه خصوصا في مثل حال هذه الجماعات يجب عليهم أن تكون لهم صلة قوية ومنتظمة بالمركز، بحيث يستطيع كل فرد صغير وكبير أن يستمع إلى رسالة خليفة الوقت بصوته هو وذلك ليعملوا بحسب إرشاداته، الأمر الذي يعتبر غاية في الأهمية والحيوية بحسب متطلبات هذا الزمان.

بعد هذه المقدمة أعود إلى الموضوع الذي ذكرته في مستهل خطبتي، وهو موضوع حماية أطفالنا. وليس هنالك داع لإعادة النقاط التي ذكرتها سابقا.

ولكنني على أية حال سأتابع شرح هذا الموضوع واضعا نصب عيني وبصورة خاصة آية واحدة من القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود ١١٥).

غالبا ما يساء فهم هذا الموضوع بصورة عامة. وعموما يظن الناس أن الشر يبتلع الخير.

ونتيجة لذلك يظنون في أنفسهم قائلين: بما أننا نعيش في بيئة فاسدة، إذن فنحن في خطر أن يتغلب الشر علينا. ويقدم القرآن الكريم من ناحية أخرى صورة معاكسة تماما فيقول: إنكم إذا كنتم حقا أخيار صالحين، فإنه لاحاجة بكم إلى الخوف من الشر. بل الشر هو الذي سيخافكم. ذلك لأن الشر ضعيف بطبيعته ولا يستطيع مواجهة الخير. فالخير لاشك أنه يتغلب عليه، وإن هذه حقيقة ثابتة أصيلة يمكن أيضا للديانات الأخرى أن تكون قد ذكرتها بطريق التلميح، في أي من الكتب السماوية السابقة. ودعما لهذه الحقيقة فإن القرآن الكريم قد بين في سورة بني إسرائيل قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء ٨٢)

وهذا يعني: انظروا ها قد جاء الحق، وليس أمام الباطل الآن إلا أن يولي هاربا. الباطل لا بد أن ينهزم ذلك أن هذه هي طبيعته. عندما يقدم هذا الشرح في القرآن الكريم مع قوله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ نجد

أنه عندئذ لا يبقى للأحمدي أي مبرر أن يخاف من تغلب شر بيئته على خيره هو، وإن كان لا يزال هنالك على كل حال بعض الحاجة إلى الخوف في هذا المجال والذي علينا أن نحلله بغية إيجاد الطبيعة الصحيحة للمشكلة.

أن تقول فقط أنك صالح ولذلك فإنك لابد متغلب على الشر لا يكفي أبدا. إننا نرى الكثير من العائلات التي قد تأثرت بما حولها ويبدو أنها تنزلق في هوة الشر بغض النظر عن الصفات الصالحة فيها ظاهريا، والتي يبدو أنها نشأت عليها. نرى أن أبناء هذه العائلات متجهين نحو الضياع وأن مواقفهم وأحوالهم تتبدل وأن سلوكهم في القضايا الإيمانية يتغير، وإنهم يفقدون تلك الصلة من الحب التي يجب أن تكون بادية في عيونهم –في حال نشأوا وتربوا فيها.

لا يستطيع المرء أن يرى لهم صلة بالإيمان بل يرى بديلا عنها حالة من الغربة ولذلك فإننا عندما نرى هذه الحقائق، كيف يمكننا أن نغض الطرف عنها؟ كيف يمكننا أن نقول بما أن الخير يغلب الشر فإنه لا حاجة بنا إلى الخوف وأن علينا أن نطمئن مرتاحين إلى حقيقة أن ميزاتنا الصالحة سوف تتغلب تلقائيا على الشر؟ إذن كيف يمكننا أن نوفق بين التناقض الظاهر الناتج عن هذين الأمرين؟

كي لا يضيع أولادكم

أولا يجب علينا أن نعرف كيف يمكن أن يوجد مثل هذا التناقض. إن القرآن الكريم حق، إذن كيف يمكن لحق أن يناقض أمرا حقا آخر؟ إن ذلك لا يمكن أن يحدث أبدا. إنه من المستحيل أن يصف القرآن الكريم أمرا ثم تناقضه الحقائق ولذلك فإن علينا أن نفكر بعمق أكثر من أجل أن تتبين حقيقة هذا التناقض الظاهر. لماذا تختلف مشاهدتنا عن القول في القرآن الكريم بحيث يبدو أن الحقيقتين بعيدتان عن بعضهما بعد المشرق عن المغرب؟

الحقيقة هي أن القرآن وحده هو الصحيح ولكن ملاحظتنا أيضا صحيحة، وأن التناقض الذي نراه إنما هو نتيجة افتقارنا إلى التبصر بالحقائق.عندما نقول أن الناس يضلون أو يضيعون فإننا نفترض عندئذ أنهم كانوا صالحين، وإنهم بالرغم من كونهم صالحين فقد ضلوا الصراط.إن هذه الفكرة خاطئة تماما. إنما يضل فقط أولئك الذين ليسوا صالحين ولكن الذين ينطوون على الخير لا يضلون أبدا. إنه من المؤكد أن الميزات الحسنة لأولئك الذين يمتلكون الصفات الجيدة تكون هي المسيطرة دون شك. نعم صحيح إن أولئك الذين يظنون أنهم صالحين، والذين ينخدعون بأنفسهم، وبأنهم قد نشأوا على القيم الحميدة، وأنهم يقفون على أسس من الخير متينة ولكنهم يكونون في الحقيقة فارغين من الداخل ويقفون على مجرد قصور رملية. هؤلاء الناس لابد من سقوطهم. فقط تلك الأجيال تضل وتضيع التي هي خالية

كي لا يضيع أولادكم

من الخير والفضيلة، كما ويضل أيضا أولاد هؤلاء، ذلك لأنهم يخدعون أنفسهم بأنهم صالحين ولكنهم يكونون في الحقيقة خالين من الخير والصلاح.

إلا أنه لمبدأ أكيد لا يمكن دحضه أبدا: أن الشر لايستطيع أن يبتلع الخير، ولكنه ينسل متخللا الفراغات والفجوات الخالية من الخير.

إن مجرد ادعاء الصلاح لا يمكن أن يملأ صدوركم بالأعمال الصالحة ولكنها تمتلئ فقط حين تمارسون الأعمال الفاضلة الخّيرة وتغرسون فيها العادات الحميدة. فإذا كنتم تلتزمون بالصالحات بالقول فقط فإنكم حتى لو كنتم مغلفين بغشاء رقيق من الصلاح حولكم ولكنكم تحملون داخلكم فجوات خالية من الصلاح والخير، وأنكم فارغين من الأعمال الصالحة الخيرة إذن فإن من قانون الطبيعة أن الفراغ لا يمكن أن يستمر ويدوم إذ لابد من شيء يملؤه. فإذا لم يُملأ الفراغ بالخير فلا بد من أن يملأه الشر.

عندما يقول القرآن الكريم أن الحسنات يذهبن السيئات فإنه يعني: أن عليكم أن تمتحنوا أنفسكم، فإذا كان الشر يغلبكم، إذن اعلموا عن يقين أنكم لا تمتلكون الخير وأنكم تعانون فقط من وهم أنكم أخيار صالحين. ابحثوا عن الفراغات داخلكم، وحاولوا أن تملؤوها بالخير والصلاح ذلك لأن الذين يملؤهم الخير لا يمكن للشر أن يغلبهم.

كي لا يضيع أولادكم

القرآن الكريم يعرض هذا الموضوع على ضوء التاريخ أيضا. فالأنبياء كانوا دائما يُبعثون في بيئة مغلوبة بالشر وحيث يكون الشر غالبا مسيطرا. ويصف القرآن الكريم الحالة قبل مجيء محمد المصطفى ﷺ فيقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم ٤٢)

أي أن القارات والمحيطات قد امتلأت بالشر، ولم يكن هناك أي مكان خال من الفساد. وكان الرسول الكريم وحده قد عين لهزيمة الشر، ومنذ ذلك الحين وبشكل مستمر وحتى آخر نفس في حياته الشريفة، كان على الشر أن ينهزم ويولي هاربا. كان لابد لخير محمد ﷺ أن ينتشر وهكذا فعل. ولقد بدأ خطوه الشريف في بيئة غاية في الفساد إلى حد لا يوصف.. فملأها جميعا وكل ما حوله بالخير والنور. منح العرب صفات حميدة عجيبة، بحيث أنهم تغيروا تماما.

ولقد تناول حضرة المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع في كتاباته الشعرية والنثرية، وألقى عليها الضوء بتفصيل كبير. فلقد بين كيف أن خير محمد المصطفى ﷺ قد غلب البيئة الفاسدة بأجمعها، وان كل إنسان صالح ظهر أو عرف إنما ولد من بركات خير محمد ﷺ.

إن هذا الموكب مستمر حتى اليوم أيضا. وكما سبق أن لفتّ نظر الجماعة لهذا، فإن ميزات محمد ﷺ إنما هي التي انتشرت وغلبت من قبل، وهي التي

سوف تغلب وتنتشر اليوم أيضا. وبمعزل عن هذا المفهوم فليس هنالك أي ميزان للخير في هذا العالم، من غير التسلح بسلاح صفات محمد ﷺ فإن الخروج إلى ميدان المعركة ثم الاعتقاد أن بإمكاننا إنقاذ إما أنفسنا أو أولادنا إنما هو أمل زائف لا فائدة ترجى منه، وكما قال الشاعر في بيت من الشعر: "من من الناس لا يندهش مستغربا هذه البساطة بأنه يدخل المعركة ولكنه لا يمسك حتى سيف في يده؟ "

إن مثل هذا السلوك في شخص تحبه يوصف بالسذاجة، ولكن عندما ينظر إليه بمعزل عن العاطفة عندئذ يمكن وصفه بأنه غباء وغاية في الحماقة. وكذلك الأمة التي تدعي أنها تريد أن تغلب فساد العالم عندما تدخل المعركة من غير أي سلاح، فإنه لا يمكن وصفها إلا أنها تعاني من الحماقة والغباء ولا يمكن أن تعطى حتى أدنى فرصة للتغلب والانتشار في العالم. وهكذا فقد جاء في القرآن الكريم وفي آيات قصيرة حكمة عظيمة لا حدود لها بينت الحق في هذا الأمر.

وكما يحكي المثل بالأوردية عن الأنهار في الأباريق، فإننا نجد هنا فعلا أن هذه الأنهار في الأباريق بالنظر إلى الآيات في القرآن الكريم والتي تحتوي على أنهار من الحكمة. وهكذا فإنه في هذه الآية القصيرة قد تم لفت انتباهنا إلى نقاط ضعفنا. لقد تم إبلاغنا عن أحوالنا وعلمنا أنه إذا كنا نريد أن نحمي

كي لا يضيع أولادكم

أجيالنا المستقبلية فإن علينا أولا أن نحمي أنفسنا، وما دام أننا لا نملأ أنفسنا نحن أولا بالخير والصلاح، فإن موضوع حماية الأجيال المستقبلية يغدو غير قابل للإثارة والبحث.

إلا أن حقيقة الأمر هي أنه يضيع ويضل أولاد أولئك الذين هم أنفسهم مثقلين بالنقائص، والذين هم أنفسهم قد تأثروا بالمادية، والذين هم أنفسهم قد أحنوا رؤوسهم في خشية وورع أمام العالم المادي، والذين يسمحون لأولادهم بالذهاب نحو شرور المادية بالرغم من إدراكهم أنها شر.

إنهم لا يشعرون بالمخاوف وقتها، ولكن عندما يكبر أولادهم وتتمكن منهم عاداتهم، عند ذلك فقط تتحرك فجأة داخلهم نفحة الفضيلة، تماما كالذي يستعيد وعيه بعد أن فقده فيقول:

" أولادي يضيعون، لا بد من العمل. لا بد من تقديم بعض الجهود لإنقاذهم."

القرآن يعظنا أن نبدأ عملية إنقاذ أولادنا بدءا من أنفسنا نحن. فإذا كانت قلوبنا ممتلئة بالخير والصلاح، وإذا كانت أعمالنا صالحة، فليس هنالك ما نخشاه نحن ولا أولادنا. وفي مثل هذه الحالة يمكننا أن نجهد لجعل أولادنا صالحين حقا منذ طفولتهم ونعومة أظفارهم. وأما إذا لم تكن هذه هي حالكم، وكنتم مغلوبين من العالم مقهورين فليس هنالك علاج أو وصفة

كي لا يضيع أولادكم

أستطيع أن أصفها لكم وأفشيها بينكم لذلك عليكم أن تتفحصوا وتحللوا أنفسكم ومَن حولكم، كما يجب عليكم أن تروا إلى أية جهة تقودكم رغباتكم وأمانيكم وما هي الأشياء التي تملؤكم بالفرح أو تملأ قلوبكم بالألم فإذا كانت فقط المكاسب الدنيوية لأولادكم هي ما يفرحكم عندما يخبرونكم أنهم قد حققوا هذه أو تلك الدرجة أو أنهم قد حصلوا على تقييم بين أذكى وأكثر الطلاب اجتهادا في صفوفهم،

وشعرتم بالفرح وأنتم تستمعون إلى لغتهم الأجنبية ودرجاتهم الجيدة في الدراسة ولكن لم تتفكروا أبدا بأن حب الدين لم يأخذ له جذرا في قلوبهم منذ طفولتهم وأنهم لا يقرؤون القرآن جيدا،

وأنهم لا يتكلمون بحب محمد الرسول الكريم ﷺ، وإذا لم تتولد عاطفة الدين في أعماقهم حقيقة وأنكم لستم قلقين حيال ذلك، وإذا كانت قلوبكم لا تمتلئ بحزن وأسى عميقين وبشكل غير عادي، وإذا كنتم لا تشعرون بعدم الراحة بسبب ذلك، أو كنتم لا تدعون لهم منذ البداية عن هذا الأمر فهذا يعني أن فيكم فجوات فارغة وهي الفراغات التي لا بد سيملؤها الشر، لأن ذلك هو قانون الطبيعة: أنه لا يمكن لمكان أن يظل فارغا، وهذه هي النقائص التي تنمو أكثر وضوحا في الأطفال. ففي بعض الأحيان لا يستطيع المرء أن يرى حتى نقائصه هو، ولكنه يستطيع أن يرى الفجوات في مرآة الطفل.

كي لا يضيع أولادكم

يرسم الطفل صورة لتربية والديه مهما كان الوالدان يعتقدان أنهما يريا في ولدهما صورة الطفل فقط.

إن القيم الداخلية للوالدين تنعكس في الأطفال وليس من الضروري أن يحدث هذا الانعكاس بشكل دائم فأنا أصف الحالة التي تحدث بشكل عام.

إن تاريخ الأمم يتطور إلى الأحسن أو الأسوأ بهذه الطريقة. ولقد بين ربنا في مكان آخر من القرآن الكريم أن الذين يذكرون الله لا يضلون ولا أطفالهم إلا عندما يبدؤون بنسيان الله دون أن يدركوا ذلك حيث يصير أولادهم في مثل هذه الحال في موقع الخطر ويصير الميل باتجاه الضلال واضحا بينهم. ولكن أولئك الذين يذكرون الله لا يمكن أن يغلبهم ضلال الآخرين، وحتى أيضا أولئك الذين يدّعون فقط أنهم يذكرون الله فإنه غالبا ما لا يرى الشر مسيطرا عليهم ولكن أجيالهم التالية تبدأ بكشف أسرارهم وتظهر ضعفهم. وهكذا يبين الله تعالى لنا في سورة الحشر حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر ١٩-٢٠)

يعني اعتنوا بأبنائكم، وإذا لم تعتنوا بهم جيدا، فأنتم إذن ترسلون للمستقبل أناسا سيجعلونكم تعانون خسارة كبيرة واعلموا أن أعمالكم التي ستسبب

كي لا يضيع أولادكم

ضلال أجيالكم المستقبلية هي معلومة ومكشوفة لله، وأنه تعالى يحذركم أنه بالرغم من أن الأعمال تنفذ من قبلكم أنتم، إلا أن أثارها ستظهر في أولادكم. إنكم الآن لاتستطيعون أن تروا نتائج أعمالكم ولكنكم على كل حال سيكون لكم مثل هؤلاء الأبناء في المستقبل وستحاسبون على أعمالكم.

ألا وإن الموضوع الرئيسي الذي سيساعدكم على فهم هذا الأمر بوضوح أكثر إذا تفكرتم به، هو أن الله تعالى يقول أنه خبير بما تعملون، وفي هذا الأسلوب من التأكيد يمكن فهم الآية الكريمة كما لو أنها تقول: أنكم لا تعلمون تماما ولكن الله يعلم. أنكم لا تفهمون تماما ولكن الله بكل شيء خبير. وأنكم لا تقدرون ولكن الله يقدر. هذه هي الرسالة الرئيسية هنا ومعها أخبرنا الله تعالى أن نعتني بتربية أبنائنا كما وتعني أن بعض أفعالكم في هذه الحال التي أنتم عليها تبين أنكم لاتدركون معها ما هي النتائج التي تترتب عليها ولكن الله تعالى يعلم بأن نتائج هذه الأعمال لن تؤثر عليكم وحدكم فقط بل سيمتد تأثيرها على المستقبل فيظهر هذا الأثر في أولادكم، ولهذا فإن عليكم الحصول على التقوى. كونوا واعين حذرين وانظروا ماذا تقدمون للغد وللمستقبل.

كي لا يضيع أولادكم

إن القران الكريم يشير من خلال هذا الشرح إلى حقيقة الأعمال التي تؤثر على المستقبل. الإنسان لا يفهم أو يقدّر هذه الأعمال ولكن الله تعالى يعلمها ويحذر الإنسان من أنها بلا ريب ستؤثر على مستقبله بشكل سيء، ويتابع القرآن الكريم تحذيره فيقول لا تكونوا كالذين نسوا الله فجعلهم الله ينسون أنفسهم وأحوالهم فيصيرون غير عالمين بما هم عليه.

والآن انظروا كم هذا البحث وثيق الصلة بموضوعها الأول، وهو أن الناس الذين لا يهتمون بأفعالهم هم الذين ينسون أنفسهم. ثم يبين الله تعالى في نفس الآية موضحا أكثر حيث يقول أن الله خبير بما تعملون ولكنكم لا تدركون ذلك، أنكم الذين نسوا الله، ومن ينسى الله يجعلهم الله ينسون أنفسهم وعند ذلك لا يستطيعون معرفة أحوالهم وتقدير ما هم عليه من سوء وخطر، ونتيجة ذلك أنهم يخلّفون وراءهم أجيالا تضل عن الصراط، ولذلك فإن أول وأهم شيء تفعلونه هو أن تنظروا في أنفسكم ثم يأتي بعد ذلك دور قلقكم واهتمامكم بأولادكم.

فإذا ما كانت مواقفكم وأساليبكم صحيحة، وكانت لديكم صلة قوية بالله تعالى وإذا لم تنسوا الله ربكم إذن فإن قلوبكم ستظل مفعمة بنور الله حتى شغافها ولن يستطيع الشر أن يتغلب عليكم مطلقا. إنه من المستحيل للقوى غير الإلهية أن تتغلب على الأمم التي تذكر الله. ولقد تم بحث هذا

كي لا يضيع أولادكم

الموضوع في مكان آخر في القرآن الكريم حيث يطلب الشيطان من الله تعالى أن ينظره إلى يوم القيامة وذلك من أجل أن يغوي الإنسان ويجهد في إضلاله. نجد هنالك أن الله تعالى قد وبّخه وقال له افعل أسوأ ما لديك وهاجم عبادي بكل ما تملك من قوى، ولكنني أخبرك بأن عبادي ليس لك عليهم قدرة أو سلطان، وسيذهب جهدك في إغواء العباد الذين يصيرون إليّ أدراج الرياح، وسيخيب سعيك. إن هذا أيضا يرينا وبكل بساطة أن الشر ليس له سلطان على الخير ولا يقدر أن يتغلب عليه ما دام أن هذا الخير صحيح وحق، بل هو الذي يهزم الشر وينهيه. ولذلك فإذا كانت لا تزال فينا نقائص وفجوات وكانت الفضيلة فينا مجرد قشور ظاهرية، أو كان الخير لدينا فارغا من مادته، إذن فإن هذه الأنواع من الخير والفضيلة الفارغة المحتوى لا يكون لها في الواقع أي وجود. إنها مجرد قشور فارغة ولذلك لا بد من أن يحتلها الشر. انتبهوا جيدا واعلموا أنه أمر جوهري وغاية في الأهمية: أن تحللوا أنفسكم ونقائصكم بكل عمق وصدق ودقة، وأن تدرسوا أحوالكم وأحوال ما يحيط بكم جيدا. إن الرجل والمرأة القلقين على تربية أولادهم ويقلقهم التفكر بالمصير الذي سيؤولون إليه عليهم أولا أن يقلقوا على أنفسهم هم، يجب عليهم أن يصححوا صلاتهم على ضوء تعاليم الإسلام، يجب عليهم أن يصححوا مواقفهم وكل ما يحيط بهم.

كي لا يضيع أولادكم

يجب عليهم أن يعطوا الأفضلية للإيمان وفي كل شيء. وعليكم من جانب آخر أن تتبينوا أنه إذا كان الحديث في البيت طوال اليوم يدور عن متع الدنيا فقط ويبحث في أن كذا وكذا قد صار فيه كذا وكذا وأن علينا أن نحصل على كذا وكذا، وأننا سنبني بيتا لأنفسنا على هذه أو تلك الطريقة، وأننا سنفعل هذا وذاك، وسنعلّم أولادنا بهذه أو تلك الطريقة، وسيصبحون رجال الدنيا العظام.

فإذا ما كان الاهتمام اليومي يدور حول هذه الأمور ويظل المحور والمركز للاهتمام وإذا ما ظل الحصول على المكاسب المادية الدنيوية هو مركز المنافسة في حياتكم، إذن الاعتقاد بأن أبناءكم في تلك الحال سيظلون أخيار صالحين وأصحاب فضيلة إنما هو مجرد وهم زائف لا طائل وراءه. إنه أمل جيد ولكنه نادرا ما يتحقق، ذلك أن النتائج الجيدة إنما تكون مع الآمال التقيّة، كما وأن الأعمال الحقيقية الملموسة هي أيضا ضرورية. يجب على كل الجماعات في أمريكا وكندا بصورة خاصة، وكل الجماعات في العالم أجمع والتي تستمع إلى ندائي هذا أن يلقوا السمع باهتمام عميق إلى هذا التنبيه في القرآن الكريم. إن عليكم أن تسألوا أنفسكم فيما إذا كنتم قائمين حقا على الخير والصلاح، أو فيما إذا كنتم تعطون الأفضلية للإيمان على القضايا الدنيا. هذه هي المسائل الأهم. وإذا ما كانت إجابتكم على هذه الأسئلة بصيغة الإيجاب فإنني عند ذلك أؤكد لكم بكلمات القرآن الكريم

كي لا يضيع أولادكم

أنه إن شاء الله تعالى لن يضل أبناؤكم، اللهم إلا إذا تدخلت حماقات ونقائص ضعف أخرى، ثم وبشكل مؤسف أثّرت على أطفالكم.

يكون الناس أحيانا أخيارا ويمتلكون صفات جيدة، إلا أنهم لا يكونون يقظين وقد لفت القرآن الكريم نظرنا إلى ضرورة اليقظة وأن نكون واعين حذرين على الدوام. ففي بعض الأحيان وبالرغم من كون الأهل أخيار صالحين مداومين على صلواتهم وعلى ذكر الله إلا أنهم مع ذلك يفقدون أولادهم بعيدا عن الصراط. القرآن يقول أن نكون أخيارا فاضلين لا يكفي، بل إن علينا أيضا أن نكون واعين وأن نظل حذرين يقظين.

عليكم أن تتبينوا عن قرب الوجهة التي يأخذها أبناؤكم، فإذا جمعتم الفضيلة والخير الحقيقي إلى الوعي والحذر واليقظة والانتباه القريب للأطفال، إذن بفضل الله تعالى لن يضلوا أو يضيعوا.

إنني على علم كامل بالمشاكل والنقائص التي تعاني منها هذه المجتمعات والتي تواجهكم، ولكنني أعلم أيضا أن هناك من العائلات الأحمدية والتي تعيش في نفس هذه المجتمعات وهي ليست خاضعة لأي خوف، كما وأن أولادهم أيضا يكبرون وهم بفضل الله تعالى على المنهاج السليم والصراط السوي. إنهم لا يعتبرون أنفسهم آمنين وحسب، ولكنهم أيضا يؤثّرون على محيطهم بشكل إيجابي جيد، وهكذا فإنهم يشكلون برهانا حيا على صدق

القرآن الكريم. إنهم منارات هدى للآخرين، الآمال معقودة عليهم مباشرة بسبب أنه إذا كان بالإمكان حدوث مثل هذا الأثر لدى بعض العائلات فلماذا لا يكون ممكنا في غيرها؟

أولا وقبل كل شيء، تخلصوا من الإحساس بعقدة الضعف كما لو أن الشر يستطيع التغلب عليكم. القرآن الكريم يخبركم أن ذلك لن يحدث أبدا بشرط أن تظلوا ثابتين بقوة على الخير وسيهرب الشر من أمامكم خائفا مذعورا ولن يكون بكم حاجة أن تهربوا أنتم من الشر.

ولأولئك الناس الذين يسألونني فيما إذا كان عليهم أن يغادروا هذه البلاد من أجل إنقاذ أبنائهم من مفاسدها، فإن جوابي هو إذا كنتم ضعفاء إلى الحد الذي لا تستطيعون معه أن تحموا أنفسكم، عندئذ يكون من الأفضل لكم التخلي عن العالم في سبيل إيمانكم وأن تهربوا من هنا. ولكنه لا يليق على كل حال بمن آمن بمحمد المصطفى ﷺ أن يهرب من وجه الفساد، لأن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يهرب أبدا من الشر. لقد كان على محمد ﷺ أن يغير مصير العالم أجمع وكان عليه أن يحقق ذلك من خلال خدامه المتواضعين، كان عليه أن يغير قدر العالم من خلال الذين يتبعونه ويحبونه ويحيون سنته وأخلاقه. فإذا بدأ هؤلاء بالهرب من ميدان المعركة مع

الشر، إذن من الذي سيغير مصير العالم وينقذه من الفساد المحيق به؟ من أين سيأتي أمثال هؤلاء؟

إن الملائكة لا تهبط من السماء لتحقيق هذه الأمور بل لابد للإيمان بالله الواحد أن ينمو ويزهر وينتج عن ظهور مثل هذه الملائكة. لقد خُلقت باتباع سنة محمد المصطفى ﷺ في السابق أيضا مثل هؤلاء الملائكة، وبكل تأكيد ستستمر في الظهور في المستقبل أيضا شاء الله تعالى. عليكم أن تخلقوا الثقة والإحساس بالقوة في نفوسكم، وافهموا تماما أنكم لم تخلقوا لتهزموا، بل خلقتم لتنتشروا وتسودوا. عليكم أن تتعلموا من القرآن الكريم كيف تنتشروا وتسودوا. افهموا تماما هذا المبدأ الحق: إن العالم لا يغلب بالفراغات ولكنه يكسب بالصلابة والفعالية، ولذا فإن عليكم أن تحولوا مفاهيم الخير والفضيلة عندكم إلى أفعال صالحة. تابعوا في البحث وتفحص الفراغات داخلكم وحاولوا أن تملؤوها بالخير وكنتيجة لذلك فإنكم إن شاء الله تعالى ستنجون من الشر ليس أنتم فقط بل وأولادكم أيضا، وبدل الخوف من شر أي مجتمع فإنكم ستبدؤون بالتغلب والسيطرة عليه وعلى ما حوله. وهذا على كل حال هو قول عام. والسؤال هنا هو كيف يمكن ملء هذه الفراغات؟

كي لا يضيع أولادكم

إن دراسة القرآن الكريم تبين أن على الإنسان أن يراقب نفسه طوال الوقت، وعليه أن يكون ساهرا يقظا حيال ذلك بشكل مستمر. وفي حقيقة الأمر فإن للتقوى صلة وثيقة بهذا الأمر.

إن أحد معاني التقوى هو الخوف. أي أن عليكم أن تحصلوا على الخوف من الله. ولكن أي نوع من الخوف نعني. إن الإنسان لا يخاف من الله تعالى على أساس أنه كائن مخيف مرعب، بل على أساس أنه كائن لطيف محبب بلا حدود بحيث أن الإنسان يرغب في أن يملكه ويكسب رضاه وأن يتكلم عنه دائما. إن المرء لا يتكلم بشكل محبب عن شيء يخاف منه، ولذلك فإنكم عندما تفهمون حقيقة التقوى، فإنكم إن شاء الله تعالى ستتفهمون أيضا وبدون أي جهد كيف يمكنكم أن تخلقوا الخير في نفوسكم.

عندما يخاف الإنسان من شيء، مثلا كما الأطفال يخافون من الأشباح والسحرة، فكلما ازددت في ذكر هذه الأشياء أمامهم كلما ازداد الأطفال خوفا قائلين: لم تذكر هذه الأشياء المخيفة؟ ولذلك فإنه لا يمكنكم أن تخافوا من شيء وبنفس الوقت تستمرون في ذكره والتحدث عنه طوال وقتكم، ذلك أنه من طبيعة الإنسان أن يهرب من الأشياء التي يخاف منها. وهو حتى يهرب من مجرد ذكر اسمها. وهكذا فإنه مهما كان مفهوم التقوى فإنه بالتأكيد لا يمكن أن يعني أن تهربوا من الله في ذعر وخوف، ولكن المعنى

كي لا يضيع أولادكم

الحقيقي من التقوى هو أن عليكم أن تحبوا الله تعالى بحيث أنكم تصيرون في خوف مستمر من أن يترككم – نخاف أن نرتكب عملا يؤدي إلى إضعاف صلتنا بالله. هذا هو الخوف الذي تعنيه التقوى، ليس هو الخوف من أن يقترب الله منا، بل هو الخوف من أن يبتعد الله عنا.

عندما تفهمون معنى التقوى فإنكم ستدركون أن الخوف من الله هو في الحقيقة نتيجة حبه تعالى.

عندما تحب شخصا بشكل عميق، بحيث يملأ حبه قلبك فإنك تجد أن هذا الحب يترافق دائما مع الخوف، تقول في نفسك: " لعل حبيبي غير راض عني " وتتولد في هذا الحب الشكوك حتى من غير سبب. هناك مثل فارسي يقول: "إن حبا واحدا يؤدي إلى الآلاف من الشكوك" يقفز الشك في الصدر فتقول:"إنه لم ينظر إلي كما يجب في تلك المناسبة فهل يا ترى هو غير راض عني؟ لقد قال ذلك الأمر في ذلك الموقف، فهل كان يعني أنني ارتكبت خطأ ما؟".

لدي خبرة شخصية في هذا المجال: الناس الذين يتمتعون بحب غير عادي للخلافة فلو مرة واحدة وعن غير قصد مني لا أنظر إليهم فسرعان ما أبدا بتلقي الرسائل منهم يقولون: إننا لا ندري ما الخطأ الذي ارتكبناه فجعلك غير راض عنا، لقد كنت سابقا تنظر إلينا مبتسما، ولكنك في تلك المناسبة

نظرت إلينا مارا مرور الكرام." وهكذا فإن رسائل هؤلاء الأحبة ذكرت الكثير عن خوفهم من أن أكون غير راض عنهم.

في رد على رسالة مشابهة كتبت المثل الفارسي المذكور آنفا إلى صديق وأضفت: إنني لم أكن غير راض عنه، ولكنني الآن عرفت أنه يمتلك لي حبا صادقا وعميقا جدا، وذلك لأنه كان طوال الوقت يعاني من الخوف أن أكون غاضبا منه.

وإذا ما طبقتم هذا المفهوم على الصلة بالله تعالى فإنكم ستدركون كيف تمضي حياة أولئك الذين يتميزون بالتقوى، إنهم يكونون في جميع أحوالهم وأوقاتهم خائفين من أن يكون الله تعالى غير راض عنهم.

كان أصحاب رسول الله ﷺ يأتون إليه بهواجسهم وشكوكهم يقولون: يا رسول الله إننا في بعض الأحيان ولعدة أيام نجد أن قلوبنا لا تقفز بحب الله وذكره كما كان يحدث معنا في أيام أخرى، وإن الإحساس العميق بالشوق والمحبة لله لا يظهر بعض الأحيان في قلوبنا، لذلك نخشى أن نكون قد هلكنا.. لا ندري ماذا حل بنا. وكان رسول الله ﷺ عند ذلك يعزيهم ويحاول أن يجعلهم يفهمون الحقيقة بطرق متعددة.

إذن هذه هي التقوى، ولذلك فإن المرء يحصل من خلالها على الخير والفضيلة الحقة. وإذا ما استمر الإنسان بالتفكر بالله ليتأكد من أنه تعالى

كي لا يضيع أولادكم

لن يكون في أي حال غير راض عنه، متفكرا في أنه ربما يكون قد فعل شيئا أدى إلى تقليل حب الله له –يقول في نفسه: هل تراني فعلت بالأمس شيئا قد يكون أدى إلى إنقاص صلتي بالله تعالى وحبه لي، ومن ناحية أخرى يتفكر هذا التقي فيقول: كيف ومتى تجلى الله علي بحبه؟ وإذا كان هنالك نقص في صلتي بالله تعالى فماذا عساه يكون السبب؟

تلك هي الفراغات في حياتكم والتي عليكم أن تملؤوها أولا، وأما إذا أمضيتم حياتكم في حالة النسيان واللامبالاة وعدم الاهتمام فهذا يعني أن حياتكم بأكملها فارغة.

إن معنى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر ٢٠) هو ببساطة كالتالي: أنكم نسيتم الله، ولم تعودوا في حياتكم تملكون ذلك الصاحب العظيم على الدوام، وعلى ضوء هذا كيف يمكنكم حتى أن تحلموا بالحفاظ على أنفسكم وعلى أولادكم، أو أن تظلوا عالمين بحالكم شاعرين بأنفسكم؟

عليكم أن تذكروا الله بحيث يظل ذكره دائما العامل المسيطر في عقولكم. يجب أن تعودوا أنفسكم على أن تطير عقولكم دائما مرتفعة إليه تعالى. ويجب أن تعتادوا أن تجعلوا كل حركة من جسدكم تتحرك إليه هو. دائما عليكم أن تظلوا في حالة الإسلام إليه تعالى وقلوبكم متوجهة إليه عز وجل.

وكنتيجة لذلك فإنكم ستتبينون الفراغات فيكم وكذلك ستعرفون كيف ستملؤونها وإلا فإنه لا يمكنني في خطبة واحدة ولا حتى في مئات الخطب أن أذكر لكم جميع الفراغات والنقائص المحتملة الوجود فيكم. إن حالة كل إنسان تختلف عن الآخر وبالتالي فإن نقائصه أيضا تكون مختلفة، وكذلك تختلف أيضا كوامن قوتهم. وإن المجتمع أيضا يؤثر في كل إنسان بشكل مختلف، ولذلك فإنني لا أستطيع أن أعطيكم أية وصفة علاجية غير تلك التي وصفت لكم. عليكم أن تلتزموا بتقوى الله من خلال تلك المعاني التي أبين لكم والتي تعلمتها من القرآن الكريم ومن الرسول الكريم ﷺ وهي تعني أن عليكم أن تظلوا دائما مهتمين ومتفكرين فيما إذا كان الله تعالى يحبكم أو لا يحبكم...فيما إذا كنتم على صلة وثيقة معه أو لا. وعندما تهتمون بهذا الأمر فإن الصلة بالله ستبدأ بالنمو من ذاتها، وتدريجيا ستبدؤون بالشعور بالسعادة بهذه الصلة، وستظل هي مصدرا دائما للإصلاح بحيث لا تترككم في أي حال كان، بل ستكون معكم دائما ليل نهار.. نائمين أو يقظين ومع مرور الوقت ستصير هذه الفكرة هي الأهم في حياتكم.

وإذا ما بدأتم رحلتكم للإصلاح بهذه الفكرة، فإنني إذن أؤكد لكم أن المجتمع الدنيوي لن يستطيع التغلب أو السيطرة عليكم وببساطة فإنه من غير الممكن للذين يحبون الله حقا.. الذين يذكرونه دائما..والذين هم في كل لحظة مستعدون للموت خوفا من أن يفقدوا حب الله لهم.. إنه من غير

كي لا يضيع أولادكم

الممكن أبدا أن يغلب هؤلاء من قبل أي مجتمع في العالم. عندما تكون لديكم مثل هذه الصلة بالله تعالى، فإنه من المستحيل عليكم عندئذ أن تتجنبوا الحديث مع أطفالكم منذ سن مبكرة عن الله تعالى. إن أولئك الذين يشكل الله عاملا قويا ومسيطرا في حياتهم يكلمون أطفالهم بشكل دائم ومستمر عن الله تعالى. إن هذا الأمر يعتبر لدى الأحمديين خبرة شائعة. أقابل الكثير من العائلات خلال أسفاري، ومن مقابلتي للأطفال أدرك مباشرة حالة والديهم، ومن خلال سلوكهم وأعمالهم المبكرة يبدوا واضحا أنهم يملكون الحب لله تعالى يتكلمون عنه عز وجل ببراءتهم، إنهم أيضا يرتكبون بعض الأخطاء ولكن النتيجة الواضحة التي يتوصل المرء إليها هي أن والدي هؤلاء الأطفال قد حاولوا أن يعلموهم حب الله منذ نعومة أظفارهم.

إذا كنت تملك في قلبك الحب لله، فإن هذا الحب لابد أن ينعكس في قلوب أطفالك. ستخاف وتتجنب أي أمر قد يأخذ أطفالك بعيدا عن الله. وسيرى أطفالك كراهيتك للشر، وسيبدي وجهك الحزن الذي يسببه الشر. إن الأطفال يستطيعون حمل الكثير من الأعباء وعلى قدر ما يحملوا، لذلك يخطئ الذين يبدون الشفقة في هذا الأمر – يقولون سنعلم أطفالنا فيما بعد، ولن نحملهم الآن فوق طاقتهم. إن هؤلاء سرعان ما يدركون نتيجة لذلك أن بعد كل ما تعلمه الأطفال في سن مبكرة فإنه لا يتبقى لهم إلا مقدرة

محدودة لتعلم المزيد. ولقد اختبرت بنفسي ورأيت أنه يمكن تعليم الأطفال ست أو سبع لغات في نفس الوقت يتكلمونها بطلاقة كما لو كانت جميعا لغاتهم الأصلية، وذلك فقط بسبب أن والديهم قد وضعوا عليهم عبء هذا التعلم منذ البداية.

يمكنكم أن تدركوا من ذلك مدى القدرة الذهنية الهائلة التي يتمتع بها الأطفال، كما ويمكنكم أن تعقدوا عليها آمالا عظيمة. إن نقاط الضعف الموجودة في قلوب الوالدين يقرؤها الأطفال في مظهرهم وتعابير وجوههم وأعينهم، ويفهمون مواقفهم الحقيقية وميولهم ورغباتهم. إن هذه الأمور لا تبقى مخبوءة عن الأطفال فهم يعلمون جيدا مواصفات والديهم وكذلك اهتماماتهم الحقيقية ويبدؤون بالتطور طبقا لمعرفتهم تلك، فإذا بقيت فكرة صلتكم بالله هي الأعلى والأهم في عقولكم وإذا بقيتم على الدوام خائفين من أن تكونوا قد أغضبتم الله تعالى، أو أن تكونوا قد ارتكبتم أي عمل لا ينظر الله إليه بالحب والقبول، أو أن تكونوا قد حرمتم من تلك الأعمال التي ينظر الله تعالى إليها برضى وقبول وحب.. إذا ما بدأتم بتفحص حياتكم اليومية بهذه التفاصيل وطورتم شوقا دائما في عقولكم بهذا الشأن فإنني عند ذلك أؤكد لكم أن انعكاس هذا الأمر سيظهر أيضا في أطفالكم، ثم وبعفوية وبحسب قوانين الله في الطبيعة فإن حب الله سيسيطر عليهم وينتشر في كيانهم.

كي لا يضيع أولادكم

إن هذه ليست مجرد خبرة تتعلق بجيل واحد فقط، بل إنها خبرة مأخوذة عن المئات من الأجيال و أثبتت فعاليتها وجدواها في كل حين. كانت فعّالة في الماضي. وإنها فعّالة اليوم أيضا، وكذلك ستظل فعّالة في المستقبل. إذن هنالك حاجة ماسة للتفحص الذاتي، فعندما أقول لكم: أحبّوا اللهواجعلوا ذكره حاضرا على الدوام في عقولكم، قد يبدو للبعض أن هذا الأمر شيء يسهل فعله، وربما يقولون في أنفسهم أنهم قد وجدوا طريقة سهلة لحل هذه الأمور سيذكرون الله ويكون كل شيء على ما يرام.

أن تذكروا الله تعالى على ضوء التعريف الذي قدمناه للتقوى ليس بالأمر السهل كما قد تظنونوالسبب هو أنه مع الذكر العادي لابد من بعض المتطلبات الضرورية، فإذا ما أهملتم هذه المتطلبات فإن الذكر يغدو بلا معنى وأقدم لكم على ذلك مثلا: إذا قلتم أنكم جائعون ورغبتم بأكل شيء ما ولكن عندما يقدم لكم الطعام لا تأكلون منه، عندئذ يبدو ادعاؤكم الجوع بلا معنى.

إذا كنتم ظامئين وقدم لكم الماء فما شربتم، يكون زعمكم بالظمأ بلا معنى، فإما أن يكون ظمؤكم زائفا، أو أنكم لا تملكون الذكاء لتدركوا أنه قد قدم لكم ما يروي ظمأكم مع ذلك لم تستفيدوا منه. وبمثل ذلك ستقابلون متطلبات تتعلق بذكر الله، وكنتيجة لحب الله ستظهر بعض هذه المتطلبات،

كي لا يضيع أولادكم

حيث يقول الله إذا كنتم تحبونني وتذكرونني عليكم أن تفعلوا هذا وذاك، وستشعرون في كل مناسبة أنكم لستم مؤهلين لفعل ما يطلب منكم، وعند ذلك ستدركون أن حبكم لله كان مجرد إحساس رومانسي واهم، وأنه مجرد قصة خيالية ليس لها أية حقيقة في الأصل والواقع، ثم ستجدون أنكم محاطون بخوف آخر وهو أنكم تقدمون الكثير من المزاعم على حبكم لله، ويعد هذا في واقع الأمر خطيئة أعظم. فإذا ما أصبحتم مستقرين على حالة جوفاء من الحياة، ستحللون حالتكم وتسألون أنفسكم عن كيفية تغييرها.

عندما ترغبون بتحويل أمانيكم ومفاهيمكم إلى أعمال واقعية ثابتة فإنكم ستشعرون بمثل ذلك الخوف في قلوبكم بحيث تصبح حياتكم كلها تعاني هزة عنيفة، وكنتيجة لذلك فإن الكثير من المخاوف الضميرية النائمة تبدأ بالصحو والاستيقاظ وكما في الفصول الممطرة،

تبدأ أشكال كثيرة من الحياة بالظهور، ويبدو كما لو أن العالم بأجمعه قد أحيي بعد ممات.

وبنفس الصورة فإن هنالك ما لا يحصى من العوالم النائمة في الإنسان، والخوف من الله تعالى يوقظها ويبعثها من جديد. ستمرون في تلك المراحل التي شرحت لكم، وعند ذلك ستدركون مغزاها الكامل، ولن تستطيعوا بغير ذلك فهمها. وعندما تبدو لكم المتطلبات منكم مع اعترافكم بحب الله

تعالى، وتجدون أنفسكم غير مؤهلين وغير قادرين على الاستجابة لها، عند ذلك ستبعث أشكال كثيرة من الخوف داخلكم، كما وسيثار فيكم اهتياج واضطراب وإحساس بفقدان الراحة، وستدركون حينئذ عددا من المفاهيم التي كانعليكم أن تنتبهوا لها ولكنكم لم تكونوا قادرين على ذلك. وستبدؤون بالمسير على طريق ثورة روحية.. وستواجهون حقيقة أن جيوبكم فارغة.

عندما أقول أن هذا الموضوع واسع جدا إلى حد لن تستطيعوا إدراك عمقه وأبعاده، سترون عند ذلك وجهة نظري في حقيقة أن أولئك الذين امتلكوا البصيرة والفهم والمعرفة وأرادوا أن يجدوا الله بهذه الطريقة فإنهم غالبا وبعد رحلة تستمر العمر بأكمله مجاهدين من أجل ملء الفراغات في حياتهم، حتى في النهاية فقد وجدوا أنفسهم فارغين بدون أية ميزة أو أهلية.

ذلك هو متطلب البصيرة الحقيقية، وأن الأمر لابد أن يكون على هذا الشكل.. ذلك لأنه من غير الممكن للإنسان أن يملأ نفسه بعظمة الله بشكل كامل، لأن هذه العملية في الحقيقة هي غير محدودة ومستمرة بلا نهاية، وكلما ازداد تطور الإنسان فإن متطلبات وحاجات أعظم تظهر فيه، ويبدأ برؤية نقائصه ونقاط ضعفه وهو يشعر بالمزيد من الأسى والألم، ويستمر باكتشاف المزيد والمزيد من الضعف، وهكذا فإن مثل هؤلاء الناس يكونون

موهوبين بالبصيرة والفهم.. إن هؤلاء النخبة عندما يتضرعون إلى الله يرفعون إليه دعاءهم ويقولون:

" الله يا محبوبي، إنني دودة الأرض، إنني لست أهلا حتى لأن أكون بشرا. إنني سبب عار للبشرية ومصدر اشمئزاز للإنسان."

" يا إلهنا نحن لاشيء.. ما الذي وجدته فينا حتى اخترتنا لنفسك؟ إننا غير جديرين بحبك."

وتنبعث من قلوبهم ترانيم الحب التي لا تحصى والتي يمكن أن تبدو عجيبة على الآخرين، وعندما يستمع الناس إلى مثل هؤلاء العارفين بالله يندهشون بكلامهم. إن حضرة المسيح الموعود عليه السلام الذي اختاره الله تعالى إماما لهذا الزمان ووهبه هذه الدرجة العظيمة وأنه بعد أن جعله الله أكمل خدام محمد المصطفى ﷺ ووضعه في مرتبة الإمامة يقول مخاطبا ربه عز وجل:

" إن أيامي يا إلهي قد أمضيت منذ البداية في ظل فضلك العظيم فلقد بقيت في حضنك كالطفل..

إنني لولا محض فضلك وحبك لكنت هلكت وصرت هباء منثورا فلا يعلم مكان ذراتي وهبائي إلا أنت.. إنه خالص فضلك وبركاتك أنك اخترتني وإلا لما كان هنالك محض وجود لي في ظل وجودك."

إنكم تندهشون عندما تسمعون هذا الكلام من الشفاه المباركة للمسيح الموعود عليه السلام وتتساءلون: هل هذا هو الإمام الذي نؤمن به كإمام لنا والذي تم اختياره من الله تعالى إماما في هذا الزمان، يصف نفسه هكذا. تنظرون هنا إلى العواطف الجياشة باستغراب.. ويسخر الخصوم في اجتماعاتهم من هذا الكلام ويقولون:انظروا إلى ميرزا صاحب الذي زعم أنه إمام العالم يقول: الله اختاريني، ثم بعد ذلك يقول: يا محبوبي إنني دودة الأرض ولست جديرا بأن أكون بشرا، إنني سبب عار للبشرية ومصدر اشمئزاز للإنسانية. كيف يمكن لمثل هذا الإنسان أن يكون قائدا للعالم وكيف يمكن أن يكون جديرا بهداية البشر؟ إن هؤلاء البسطاء السذج لا يعلمون أنه عندما يخاطب مثل هؤلاء العباد المتميزين الله ربهم، ينظرون إلى أنفسهم بالمقارنة مع صفات الله العظمى. إن الشخص الذي يعلم عظمة الله تعالى، والذي وهب الفهم والحكمة، حين يقارن نفسه مع عظمة الله تعالى يرى نفسه أقل من هباءة وأنه أصغر وأحقر كائن، ويبدو واضحا تماما بالنسبة إليه أن الأحد الذي يتوجه إليه إنما هو وجود كبير عظيم لا حدود له، وأنه أوج الخير وذروته، وأن كل الخير يصدر عنه وإليه يرجع، وعندما ينظرون إلى أنفسهم بالمقارنة معه تعالى فإن وجودهم يستمر بالصغر حتى يختفي ويتلاشى فلا يرى نهائيا.

تستطيعون أن تتخيلوا كيف يمكن أن يكون حال من ينظر إلى الله تعالى، وحتى أهل الدنيا عندما يملكون الفهم والبصيرة يدركون نفس الحقيقة في أمور

الدنيا. مثلا عندما يتأمل العلماء في الكون متفكرين ويلقون النظر إلى ما وراء المجرات الجديدة التي يكتشفونها، فإنهم يبدؤون بالشعور بالصغر في أنفسهم فيعلنون أنه بعد التفكر بالكون ومعرفة بعض جوانبه، وبغض النظر عنا نحن فإنه حتى عالمنا بأكمله يبدو بالمقارنة شيئا تافها وحقيرا.

في مجلة الريدرز دايجست وأطلس العالم تم نشر صورة لمجرة وفيها سهم يشير إلى نقطة غير مرئية وملاحظة تقول:" توجد مجموعتنا الشمسية – متضمنة كل الكواكب معها –في مكان ما حيث يشير السهم، ولكن بالمقارنة مع الكون فإنها غاية في الصغر بحيث أنه لا يمكن تمثيلها ولا حتى بنقطة، ذلك لأن المكان الذي ستشغله النقطة إنما هو أكبر بكثير من المكان الذي تشغله مجموعتنا الشمسية بالمقارنة مع الكون.

إن الذي يتوجه ذاهبا إلى الله.. ويجلّي الله تعالى عليه ذاته.. تخيلوا فقط إلام سيتقلص ويصغر عالمه.. وهل سيبقى هنالك شيء من وجوده؟ ولكي يحصل ذلك المؤمن على المزيد، يمضي مسافرا أقرب من الله تعالى.. يبحث بعمق أكبر في تلك السبل أي سبل رضى الله عز وجل والتي تكسبه تجلي الله عليه ويصير واحدا معه.

إنها رحلة من غير نهاية. الفراغات ستستمر بالامتلاء. وفجوات جديدة ستستمر بالظهور، ولكن الفراغات التي تُملأ بجمال وحب الله تصير محصنة

تماما ضد جميع شرور العالم. عليكم أن تملكوا يقينا ثابتا بذلك، وأن تعلموا أن الله وحده يستطيع أن يملأ تلك الفجوات. وعندما تميل أشواقكم ورغباتكم ووجهاتكم جميعا نحوه، وعندما تبدو لكم بقية العالم بلا معنى.. عند ذلك وفي أثناء توسلكم لفضل الله تعالى في أي مكان تعيشون فيه حياتكم أمريكا أو روسيا أو أي بلد آخر في العالم، فإنكم ستوهبون إدراكا عظيما لعزتكم وشرفكم وعظمتكم. إن هذه العواطف ستصحو داخلكم كنتيجة طبيعية لتواضعكم الكامل وبسبب التواضع الكامل يكسب المرء مثل هذه الرفعة. وبفضل الله تعالى يبدأ المرء بالإحساس بالقوة، ويعلم أن لا بد سينتصر ويتغلب ويدرك أنه قوي إلى حد أن الموجودات غير الهامة لا تستطيع أن تقهره وتتغلب عليه. وتختفي من حياته جميع المخاوف والأخطار والمخاطر وتفقد أهميتها.

إنكم إذا أدركتم هذه الحال فإن أطفالكم أيضا سيحصلون ومنذ ولادتهم على العظمة في الشخصية، وسيمشون في هذا المجتمع برؤوس مرفوعة. ولذلك فإنكم إذا تعلمتم أن تعيشوا بهذه الطريقة وإذا كنتم ترغبون بالحصول على الله تعالى من أجل أن تعيشوا هذا النوع من الحياة، وإذا ما دعوتموه، عندئذ أؤكد لكم أنه ليس هناك خطر لا على أنفسكم ولا على أولادكم، ستكونون معرضين للخطر أنتم وأولادكم إذا خضعتم أنتم أنفسكم لهذا الخطر. لذلك فإن عليكم أولا أن تقهروا الخطر الذي يواجهكم، وعند ذلك

كي لا يضيع أولادكم

باليقظة والوعي راقبوا أطفالكم بذكاء وتعقل كما علمنا الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم أن نفعل، عليكم أن تتقدموا بأفعالكم الحسنة الخيّرة، مراقبين أطفالكم واثقين بالله، مدركين أن عالم الله هو عالم حقيقي فعلا وأن وجوده وشخص محمد ﷺ وأخلاقه لا بد أن تنتصر وتتغلب وتنتشر. ابدؤوا بملء فراغاتكم بشخصية وأخلاق محمد المصطفى ﷺ، وكونوا متأكدين أنكم أنتم فقط الذين ستغلبون وتنتشرون في العالم.. بسببكم أنتم سيتغير مصير العالم، ولن يستطيع العالم أن يغير مصيركم. تبينوا كم أن هذه البلاد بحاجة إليكم.

عندما أسمعكم تتحدثون عن المخاطر والمخاوف فإن شعورا آخر بالقلق ينتابني، أقول في نفسي: إن هؤلاء الذين أسمع منهم هذا الكلام هم سفراء الإسلام، إنهم قد جاؤوا إلى هذه البلاد ليغيروها ويزيلوا فسادها. أي نوع من السفراء هم الذين يخافون من أن فساد هذه المجتمعات يمكن أن يتغلب عليهم؟ إن هذا الخوف من أن يتغلب عليهم الآخرون لا يلائم الإنسان الذي يخصّ محمد المصطفى ﷺ. إن مثل هذا القلق والمخاوف بأجمعها هي في غير مكانها. إنها مخاوف تافهة جديرة بالرثاء والازدراء، اعلموا أنكم قد خلقتم للانجازات العظيمة. عليكم أن تعرفوا وتعوا جيدا من تكونون، عليكم أن تدركوا عظمتكم لدى جميع الجنس البشري، عليكم أن تدركوا معنى أنكم تُنسبون إلى الرسول الكريم محمد المصطفى ﷺ وأنكم قد خُلقتم لتَظهروا على العالم كله. ولقد أظهر ذلك في المرحلة الأولى محمد ﷺ ذاته وعليكم أنتم في

المرحلة الآخرة أن تظهروا ذلك ومن أجل أن يتم هذا الأمر. عليكم أن تبدؤوا رحلتكم في الخير والفضيلة بالدعاء والشجاعة.

إن دعواتي ترافقكم، وإنني أؤكد لكم أن دعوات الجميع سوف تبني حولنا سورا عظيما من حماية الله لنا. ولن يستطيع خصم مهما أوتي من القوة والعداوةاجتياز حماية سورنا العظيم هذا، اللهم آمين."